مجلة التعليمية
ISSN: 2170-1717
EISSN 2602-6015

المجلد 13 / العـــدد: 03 (2023)، ص 589 - 602

الكتب المدرسية للجيل الثاني في المرحلة الابتدائية بين النقد والاستحسان

The 2nd generation textbooks at the primary education between criticism and appreciation

* محمد جبانة[1]	لزرق زاجية[2]
[1] مخبر الدراسات النّحوية واللّغوية بين التّراث والحداثة بجامعة تيسيمسيلت، الجزائر. Mohamed.djebana@univ-tissemsilt.dz	[2] مخبر الدراسات النّحوية واللّغوية بين التّراث والحداثة بجامعة تيسيمسيلت، الجزائر. Lazregzadjia38@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/03/07 تاريخ القبول: 2023/11/17

ملخص:

الكتاب المدرسي أهمّ وسيلة تترجم المنهاج في الميدان، ومع الإصلاحات الأخيرة الّتي أنتجت كتب الجيل الثّاني، أُحدث الكتاب الموحّد الخاص بالطّور الأوّل، ليتمّ التراجع عنه في الطّورين الثاني والثالث، فلقي انتقادات كثيرة، تناولناه بالدراسة للكشف عن مدى المطابقة بينه، وبين ما يدعو إليه المنهاج من حيث الشكل والمحتوى، وتأثير ذلك على تحصيل المتعلّمين وتسهيل عملية التّعلّم.

كلمات مفتاحية: الكتاب المدرسي، الكتاب الموحد، الشكل والمحتوى، برامج ومنهاج الجيل الثاني.

Abstract:

The textbook is the most important tool that translates the curriculum on the field. With the last reforms that resulted in the 2nd generation textbooks, the unified textbook of the 1st cycle had been created. However, it was not adopted for the 2nd and 3rd cycles and received criticism. We studied this textbook to reveal its correspondence to the content and shape that the curriculum calls for, and the effect on the learners' performance and the education process.

Keywords: textbook; unified textbook; form and content; programs and curricula of the 2nd generation.

. مقدمة:

* جبانة محمد

تتكفّل المؤسسات التّربوية بتعليم النّشء وتربيته وتأهيله، وتُعدّ المناهج الدراسية الضّابط والمرشد لتحقيق أهداف المدرسة، خاصّة في المرحلة الابتدائية باعتبارها القاعدة الّتي تُبنى عليها بقيّة المراحل، ويعمل المعلّم على تنفيذها بالاستعانة بالكتاب المدرسي الّذي يترجم المنهاج في الواقع، وقد أُعتُمدت في بلادنا كتباً جديدة عُرفت بكتب الجيل الثاني للمقاربة بالكفاءات.

فما مدى مطابقة هذه الكتب للمنهاج؟ وهل هي مناسبة لمتعلّمي هذه المرحلة؟ للإجابة عن هذه الإشكالية لا بُدّ من التّذكير بأهمّية الكتاب المدرسي ووظائفه، وخصائص متعلّمي المرحلة الابتدائية، ثمّ قراءة في هذه الكتب لمعرفة مدى تطابقها مع المنهاج، والإشارة إلى المفاهيم الجديدة المتضمّنة فيهما.

1. مفهوم الكتاب المدرسي:

يعتبر أهم وأقدم الوسائل التّعليمية، وهو الإناء الّذي يحوي المادّة التّعليمية وأحد مكوّنات المنهج التعليمي، يتميّز بوضعية مركزية ضمن باقي الوسائل[1]، من بين تعريفاته: أنّه "الوثيقة المطبوعة الّتي تجسّد البرنامج الرّسمي لوزارة التربية الوطنية والموضوعة من أجل نقل المعارف للمتعلّمين وإكسابهم بعض المهارات، ومساعدة كلّ من المعلّم والمتعلّم على تفعيل سيرورة التعلّم"[2]، وبالتّالي فهو يربط بين المنهاج والمعلّم والمتعلّم .

أ- المنهاج: يترجم الكتاب المدرسي ما يدعو إليه المنهاج التربوي في شكل أنشطة تعليمية تعلمية، تقويم، وإدماج ليحقق الكفاءة المرجوة.

ب- المعلّم: يستعمله للاسترشاد، ينطلق منه ولا يتوقّف عنده بل يغنيه بما لديه من معلومات عامّة وأسئلة، وأنشطة، يتصرّف في سنداته وقد يضطرّ إلى تكييف بعض المحتويات لتتلاءم مع المواقف التعليمية، لا يمكن أن يكون عبداً له بالاعتماد عليه كلّياً.

ج- المتعلّم: الكتاب مرجع له في البيت، وفي القسم يصبح وسيلة تعليمية، قد يمثّل المعرفة كلّها بالنسبة له، لذا لا ننتقد الكتاب أمامه حتى لا نفقده المصداقية، فنظرة المتعلّم للكتاب غير نظرة المعلّم والبالغ بصفة عامّة، ترافقه دفاتر للأنشطة تُنجز عليها التّطبيقات المختلفة- لغة عربية ورياضيات-ودليل للمعلّم يوضح ما جاء في الكتاب المدرسي حيث" يعتبر أداة ترافق الكتاب المدرسي ووسيلة تشرح وتوضّح كيفية استغلاله استغلالاً أمثل"[3]، كلّ هذا الاهتمام بالكتاب المدرسي وما يرافقه من شروح وتوضيحات، الغرض منه تيسير عملية التّعلم، ونقل الرسالة التعليمية التعلّمية، وعليه " يمكن النّظر إلى الكتاب المدرسي على أنّه وسيلة من وسائل الاتّصال، وبهذا القياس يصبح مؤلّف الكتاب المدرسي مرسلاً، ويصبح مضمون الكتاب المدرسي رسالة، كما يصبح الدارس الّذي يستخدم الكتاب مستقبلاً"[4]، ولكي تحقق عمليّة الاتّصال هدفها لا بدّ من وضوح الرسالة لأنّ " الكتاب المدرسي الجيّد من العوامل الرئيسية الّتي تجعل التّلاميذ أكثر استعداداً أو شوقاً للتّعلّم، وعلى النّقيض من ذلك فإنّ الكتاب الرديء غالباً ما يؤدّي إلى نفورهم وانحرافهم عن الدراسة"[5]، ومهما يكن تبقى هذه الوسيلة أشدّ تأثيراً في التّلميذ نظراً لأهمّيتها ولوظائفها المتعدّدة.

2. أهمّيته ووظائفه:

الكتاب المدرسي هو الأداة الّتي تنقل بواسطتها المواد الدراسية من حقلها الأكاديمي إلى الحقل المدرسي، فهو يسهّل على المعلّم التحضير للدروس، أمّا المتعلّم فيرافقه خلال فترة تمدرسه ويعزّز أعماله في الأنشطة والواجبات المنزلية، يساعده على الحفظ والاستذكار، يسهّل عليه اكتشاف المعارف، ويجعله يقرأ بصفة انفرادية حسب قدراته العلمية فتُنمّى لديه مهارات القراءة، لذلك تنوّعت وظائفه وتعددت منها:

- التنظيم: يهيكل التّعليم وينظّمه وفق المستوى المعرفي والعقلي للمتعلّمين.
- التّوجيه: توجيه المتعلّم في عملية التلقّي والتحصيل.
- التبليغ: إكساب المتعلّم معلومات وتبسيطها لجعلها في متناوله [6].

ويمكن إضافة وظائف أخرى للكتاب المدرسي كالوظيفة التكوينية، حيث يتمّ تطوير الكفاءات والقدرات من خلال التمرّن على البحث والإنجاز، التّرجمة العملية للمنهاج وتنفيذه في الواقع من خلال السندات المساعدة والصّور والرسوم التوضيحية[7]، كما يشجّع على الحياة الاجتماعية من خلال العمل التّعاوني بين المتعلّمين في إنجاز مشاريعهم الجماعية، أين يتحقق احترام الطرف الآخر في التّعبير عن رأيه وإزالة التحفّظات الّتي قد تكون مع المعلّم، فيرتاح المتعلّم نفسياً لزميله ويقبل على العمل والتّعلّم.

3.المرحلة الابتدائية والكتاب المدرسي:

هي المرحلة الّتي يقصدها أطفال أعمارهم من 6 سنوات إلى 12 سنة، وتسبقها مرحلة تحضيرية لتهيئة هؤلاء الأطفال للدّراسة، وللعيش ضمن جوّ مدرسي جماعي، غير الجوّ الّذي ألفوه في الأسرة و" تعتبر المرحلة الابتدائية الأولى في السّلّم التّعليمي، وتشكّل الأرضية الّتي ينطلق من خلالها إلى بقية المراحل الدراسية " [8].

وفي الجزائر هي مرحلة إلزامية تدوم خمس سنوات، مقسّمة على ثلاثة أطوار، طور أوّل للإيقاظ، طور ثانٍ للتّعمّق في المكتسبات، وطور ثالث للتّحكّم فيها، إذا احترمت هذه الأطوار تمكّنت المدرسة من تكوين قاعدة قويّة وصلبة يسهل عليها تكملة بقية المراحل التعليمية، ولتحقيق ذلك يجب أن تدرّب التّلاميذ على: كيفية الوصول إلى المعلومات من مصادرها الصحيحة وعلى التفكير المنظم، الرغبة في حلّ المشكلات الّتي تقابلهم، تنمية غريزة الاستطلاع والاستزادة من المعرفة وتحصيل المعلومات [9]، ولا ننجح في هذا إلاّ بمراعاة خصوصيات هذه المرحلة وهذه الفئة، فالمرحلة هي مرحلة المحسوسات حيث الطفل كثير الحركة والنشاط، مرتبط بالواقع الملموس دون إغفال الخيال الواسع، وعاطفياً له قابلية للتكيّف في محيطه الجديد – المدرسة– فننظر إلى نموّ شخصيته من كلّ جوانبها:

النّمو الجسمي: تزوّده المدرسة بقواعد صحيّة في المأكل والمشرب، اللّعب، الراحة، العمل، إضافة إلى أساليب وقائية لحماية جسمه من الأمراض.

النّمو العقلي: مراعاة تفكيره المتصاعد إلى أن تصبح له القدرة على الإدراك والتّفسير أفضل من ذي قبل.

الجانب اللّغوي : مناسبة اللّغة المستعملة لمستوى المتعلّم حتّى يمتلك مع الوقت حصيلة لغوية سليمة يعبّر بها عن نفسه شفاهة وكتابة [10].

خصوصيات المرحلة ومراحل نموّ المتعلّم، يجب أن تظهر في الكتاب المدرسي الموجّه له ليزيد ارتباطه به، وحينئذ يأخذ مواصفات الكتاب الجيد. فما هي هذه المواصفات؟

3. 1 مواصفات الكتاب الجيد:

ليحقّق الكتاب المدرسي هدفه يجب أن يرتقيَ إلى درجة الجودة الّتي تعني:"المطابقة لمتطلّبات أو مواصفات معيّنة، وهي جملة من السّمات والخصائص التي يجب توافرها في الكتاب المدرسي والّتي تجعله قادراً على تحقيق الأهداف " [11]، هذه السّمات تكون في الشّكل والمضمون وفي كيفية تأليفه، نذكر منها:

-الانسجام بين المضامين الواردة في الكتاب، والأهداف المسطّرة في المنهاج التربوي.

-مسايرة الكتاب المدرسي جديد البحث العلمي لبناء شخصية المتعلّم.

-يراعي مستوى المتعلّمين وأعمارهم من خلال: الرصيد، الصّور، السندات المختلفة، الحجم.

-يثير الدافعية نحو التعلّم، ويستخدم أسلوب التفكير العلمي في حل المشكلات.

- يشتمل على عناصر شارحة له: مقدمة للمادّة وأهمّيتها، الأهداف، الأنشطة التعلّمية، الأنشطة التقويمية.

أمّا فيما يخص طريقة تأليفه فهناك:

- طريقة التّكليف، حيث الجهة المسؤولة تكلّف مجموعة خبراء لتأليفه ممن تتوفّر فيهم الكفاءة العلمية والتربوية، وعلى دراية بقوانين التعلّم وخصائص المتعلّمين، ولهم خبرة في مجال التأليف ووعي بفلسفة المجتمع.

- طريقة الإعلان أو المسابقة، وهي أكثر موضوعية لأنّ المؤلفين غير معروفين مسبقاً ويتم التّعامل مع عملهم، وينتظر من هذه الطريقة أن يشتدّ فيها التنافس والإبداع بين المؤلفين.

- طريقة اللّجان، حيث تتشكّل لجان تتقاسم العمل فيما بينها، وبعد الانتهاء من العمل، يُقوّم عملهم من طرف لجان أخرى وهي طريقة أكثر دقّة [12].

جودة الكتاب غير كافية وحدها فـ "مهما بلغ من الدقّة والأناقة في العرض، يظلّ عنصراً صامتاً والحال أنّ اللّغة تكتسب سماعاً "[13]، فالمعلّم بِتعامله قد يثبت له جودته، أو ينقص منها حسب قراءته له، وفي المدّة الأخيرة صار التوجّه نحو الكتاب المدرسي الرقمي لتخفيف ثقل المحفظة.

4.كتب الجيل الثاني للمرحلة الابتدائية:

حلّت كتب الجيل الثّاني كبديل لكتب الجيل الأوّل للمقاربة بالكفاءات بعد أكثر من عشرية من تطبيقها في الميدان، نتيجة للنّقائص الّتي طالتها والانتقادات الّتي وُجّهت لها، فهي "جيل جديد من الكتب المدرسية الّتي ستؤكّد

دورها المساعد على التعلّم" [14]، وممّا جاءت به: فكرة الكتاب الموحّد، المقطع التعلّمي، ميادين التعلّم، الوضعية الانطلاقية الأمّ، الكفاءة الشاملة، وفيما يلي عرض مختصر لبعض المفاهيم:

– المقطع التعلّمي: اختيار بيداغوجي يغطّي فترة زمنية من التّعلّم، يبدأ بوضعية انطلاقيه أُم، تليها وضعيات تعلّمية، وضعيات إدماجيه، وضعيات تقويمية، ينتهي بتعلّم الإدماج والتّقويم والمعالجة [15].

– الكتاب الموحد: يسمح بتعلّم الإدماج، جَمَع اللّغة العربية مع التربية الإسلامية والتربية المدنية، لأنّهما أكثر حملاً للقيم والكفاءات العرضية [16]، والكتاب الثاني جمع بين الرياضيات والتربية العلمية، ساهم في تخفيف ثقل المحفظة لكنّه طُبّق في الطّور الأوّل فقط.

– الوضعية الانطلاقية الأمّ: هي وضعية مشكلة ينطلق بها المقطع التعلّمي، تبين أنّ موارد المتعلّم صارت غير كافية، وعليه الإقبال على تعلّم موارد جديدة تمكّنه من الحل، ليعود في نهاية المقطع ويتمكّن من حل هذه الوضعية بفضل ما تعلّمه خلال تناوله للمقطع التعلّمي.

– الكفاءة الشاملة: تمّ تنظيم الكفاءات في شكل كفاءة شاملة مكوّنة من كفاءات ختامية خاصّة بالميادين، ولكلّ كفاءة ختامية ثلاث مركّبات متعلّقة بالمعارف، المهارات، والقيم.

5. العوائق التي تعترض الكتاب المدرسي:

ما يُؤلف لمتعلّم المرحلة الابتدائية لا يشبه تأليفات بقية المراحل نظراً لخصوصية هذه المرحلة، وقد تعترضه بعض العوائق على مستوى الشّكل أو المضمون، أو تعترضهما معاً، من بينها:

أ–الشّكل: تظهر في حجم الحروف، الورق المستعمل، وضوح الصور والرسوم، الخرائط، الغلاف الخارجي.

ب–المحتوى: معلومات تفوق سن المتعلّم، غير بسيطة، أو غير مرتبطة بواقعهم، تعارض بعض المحتويات مع أهداف المنهاج، عدم تسلسلها وكثرتها.

ج–صعوبات أخرى: كثرة الكتب يرهق الأسرة مادياً، ويضرّ بصحّة المتعلّم.

د– تأليفات موازية للكتب المدرسية تضرّ بها، ويطغى عليها الجانب التّجاري.

هـ– نظرة الأولياء المختلفة للكتاب قد تؤثّر على فكر المتعلّم، في حالة تعارضه مع قناعاتهم الثقافية والإيديولوجية وحتى السياسية.

و– طريقة تأليفه(التكليف): من مشكلتها "عدم التّوافق في اختيار فرق التأليف، حيث أنّ الاعتماد على سمعة الشخص المكلّف، أو مكانته المعرفية، أو منصبه، قد لا يكون كافياً لإثبات كفاءته أو أحقّيته للقيام بعملية التأليف المطلوبة" [17]،وكذا توجّهات الهيئة المسؤولة عن اختيار هذه الفرق.

من بين العناصر الأساسية في الكتاب المدرسي والتي لها دلالة كبيرة: الصّورة، فقد " أصبحت من ضرورات العملية التعليمية، نظراً لقدرتها على حمل الكثير من المعاني بأسلوب سهل، وطريقة واضحة، أمّا في مراحل التّعليم الابتدائي فإنّ

الصّورة أكثر من ضرورة، نظراً لضعف الرّصيد اللّغوي للمتعلّمين الّذين يكونون بحاجة ماسة إلى لغة بديلة أكثر وضوحاً، قادرة على توصيل المعارف إلى التّلاميذ المبتدئين"[18]، فهي للمتعلّم ثُمّ للمعلّم تمثل "الأداة الثانية بعد اللّغة اللّسانية الكفيلة بنقل المعارف، بل ربّما كانت الأداة الأولى حينما تعجز اللّغة الطّبيعية عن أداء الدّور المنوط بها"[19]، فيوظّفها خاصّة في ميدان التعبير الشفوي، وبعض التعلّمات الّتي تحتاج إلى رصيد جديد غير مألوف، أمّا المتعلّم فهو الآخر يستعين بها لتُعينه على تذكّر الكلمة المناسبة والمعنى المراد [20].

6. من المنهاج إلى الكتاب المدرسي(الجيل الثاني):

نحاول أن نبيّن مدى التّطابق أو التّعارض بين ما نصّت عليه مناهج الجيل الثاني للمرحلة الابتدائية، والكتب المدرسية الموجّهة للمتعلّمين، مع تحديد النّقائص الّتي سجّلناها على الكتب، والّتي سبّبت إثارة في الوسط المدرسي خاصّة، والرأي العام بصفة عامّة، وكانت خطّتنا دراسة الكتب بكل مستوياتها وحسب تخصّصها: اللّغة العربية، الرياضيات، التربية العلمية، التربية المدنية، التربية الإسلامية، ثمّ التاريخ والجغرافيا.

أ–اللّغة العربية: هي اللّغة الوطنية الرّسمية الأولى، يتعلّمها الطفل ويتعلّم بها، يهدف تدريسها "إلى إكساب المتعلّم أداة التّواصل اليومي، وتعزيز رصيده اللّغوي، الّذي اكتسبه من محيطه الأسري والاجتماعي مع تهذيبه وتصحيحه، ونظراً لمكانتها العرضية كلغة تدريس في المنظومة التربوية، فاكتساب ملكتها ضروري لاكتساب تعلّمات كلّ المواد الدراسية والنّفاذ فيها"[21]، وقد نصّ المنهاج على تعليم اللّغة العربية وفق مهاراتها الأربع، فباعتبار"السّمع أبو الملكات اللّسانية" [22]، خُصّصت له الحصّة الأولى ليُبنى عليه الفهم ويكون قاعدة للتّواصل، ثمّ التّركيز على التعبير الشفوي، يليه فهم المكتوب (مهارة القراءة)، وأخيراً التّعبير الكتابي.

ولتسهيل تطبيق المنهاج وُضِع تحت تصرّف المعلّم دليل يُوضّح ذلك، ويُبيّن كيفية استخدام الكتاب المدرسي، والاستعانة به في إعداد المادة دون الاعتماد عليه كلّياً، حيث المنهاج والوثيقة المرافقة له هما الوثيقتان الأصليتان[23]، وتمّ تأليف الكتاب المدرسي انطلاقاً من الأسس التّالية: المقاربة بالكفاءات، المقطع التعلّمي، والمقاربة النصّية كاختيار بيداغوجي لتعليم مادة اللّغة العربية، فمن النّص يثري المتعلّم رصيده اللّغوي، ويستنتج القواعد اللّغوية كمورد معرفي يعينه على بناء الكفاءة، يكتشف خصائص النّصوص، يتعلّم التحليل، ويكتشف قيماً خلقية واجتماعية[24]، وإذا تأمّلنا كتب اللّغة العربية، بداية بكتاب السنة الأولى ابتدائي فإنّ محتوياته عُرضت وفق محاور مرتّبة واقعياً، بداية من العائلة إلى المدرسة، الحي والقرية، الرياضة والتّسلية، البيئة والطّبيعة، التّغذية والصّحة، التّواصل، ثمّ الموروث الحضاري، فكانت مرتّبة حسب البدايات الأولى للمتعلّم عند خروجه من العائلة، نصوصه ذات نمط حواري يتعلّم من خلالها الحروف قبل الشّروع في القراءة الفعلية.

في السنة الثانية غُيّر المحور الأوّل بالثاني، أي المدرسة ثمّ العائلة، حيث متعلّم السنة الأولى غادر المدرسة التي أَلِفها سنة كاملة، وعاد إليها ليحكيَ عن عطلته مع عائلته، بنصوص ذات نمط توجيهي، أمّا القواعد فتُدرّس ضمنياً عن طريق

حصص خاصّة بتوظيف الصيغ، والملاحظ عن الكتب أنّها تخاطب المتعلّم بالفعل المضارع – الدّال على الاستمرار والتجدّد – انطلاقاً من مبدأ التعلّم وليس التّعليم: هذا كتابك، نرجو منك، عزيزي التّلميذ ... وصُوره كانت مناسبة لسنّه، حروفه وكلماته واضحة ومضبوطة شكلاً.

في السنتين الثالثة والرّابعة تمّ إدراج القواعد اللّغوية صراحة تحت اسم: التراكيب النحوية، الصيغ الصرفية، الصيغ الإملائية، أمّا نصوص القراءة غلب عليها النّمط السردي للسنة الثالثة والنّمط الوصفي للسنة الرابعة، في كتاب السنة الخامسة أدرجت القواعد تحت اسم: النحو، الصرف، الإملاء، وهي تأكيد لما تمّ تدريسه في الطور الثاني ماعدا بعض الإضافات تمثّلت في: الأسماء الخمسة، الاستثناء، المفعول المطلق، نصوص القراءة ذات نمط تفسيري، حجاجي، مع وُجود الأنماط السابقة باعتبارها تمّ التحكم فيها.

في كلّ الكتب تمّ تنظيم الوحدة التعلّمية وفق ترتيب المهارات اللّغوية، حسب ما نصّ عليه المنهاج: فهم المنطوق لتعليم مهارة السّماع، التعبير الشفوي لتعليم مهارة التّحدّث، فهم المكتوب لتعليم مهارة القراءة، النشاط الكتابي (إدماج كتابي و تحرير) لتعليم مهارة الكتابة، كما خُصّص لكل مستوى تعليمي رصيد لغوي، يتم توظيفه من خلال النّصوص المنطوقة والنّصوص المكتوبة في التعبير بنوعيه، مصرّح به في الكتاب (الفهرس)، ساير الكتاب الواقع العلمي فأدرجت نصوص عن وسائل التّواصل الحديثة: الهاتف النقال، الانترنيت، الحاسوب ..

ب–الرياضيات: هي مادّة تعمل على تنمية الفكر وتهذيبه، لذلك "يتمحور منهاج الرياضيات في التّعليم الابتدائي حول حلّ مشكلات في مختلف الميادين، والّذي يتطلّب دراسة منظمة للأعداد والأشكال ولبعض المقادير وقياسها، وفي هذا الصدد لا تُبنى المفاهيم المتعلّقة بهذه المحاور لذاتها، بل كأدوات فاعلة لحلّ مشكلات" [25]، وتجسيداً لما نصّ عليه المنهاج، صُنّفت محتويات المادة في أربعة ميادين: ميدان الأعداد والحساب، الّذي نال حصّة الأسد لقيمتها واستعمالاتها الكثيرة في الحياة العادية للإنسان، ميدان المقادير والقياس، ميدان الفضاء والهندسة، ميدان تنظيم المعطيات.

تمّ تمييز كلّ ميدان بلون معيّن في الكتاب الّذي رُتّب "وفقاً لثلاثة خطوط عريضة، هي منطق الطور التعليمي، مبدأ إدماج التّعلّمات، ومفهوم المقطع التعلّمي"[26]، بالنسبة للأطوار الثلاثة كانت المفاهيم متسلسلة، متدرّجة حسب أعمار المتعلّمين، أمّا الإدماج فأخذ حيّزاً كبيراً، في الطّور الأوّل كان الإدماج مع التربية العلمية ضمن الكتاب الموحّد، وفيما يخص المقطع التعلّمي، فهو يبدأ بوضعية انطلاقية تشمل مشكلات مرفقة بصوّر توضيحية، يحاول المتعلّم إنجازها بما يملك من موارد شخصية، حيث "لم تعد المدرسة المصدر الوحيد للموارد الّتي يكتسبها المتعلّم، بل يستقيها أيضاً من محيطه الاجتماعي، لاسيّما من وسائل التّواصل الحديثة، وعلى هذا الأساس فهو يملك موارد شخصية، والمهارات والقدرات، وموارد خارجية هي بمثابة روافد تساهم في بناء الكفاءات وتنميتها"[27]، هذه الموارد يحاول تطبيقها في الحصص التّعلميّة الّتي أشار إليها الكتاب المدرسي لكلّ المستويات، يبدأ بشرح لكيفية تناوله بأيقونات مختلفة، وفهرس للمواضيع، لنصل إلى تناول الوضعية التعلّميّة بفقراتها المختلفة، بداية بفقرة "أكتشف" بمراحلها: فترة عرض المشكلة،

البحث (عمل التلاميذ اعتماداً على مواردهم السابقة)، مناقشة الحلول، ثمّ فترة الحوصلة والتّأسيس الّتي يتدخّل فيها المعلّم للتّأسيس للمعرفة المقصودة من الحصّة، تليها فقرة "أنجز" لتأكيد التّعلّم، ثمّ فقرة "تعلّمتُ "الّتي تعتبر قاعدة للمراجعة، وحلقة ربط بين المدرسة والأسرة.

الحصّة الموالية مخصّصة لتوظيف دفتر الأنشطة بفقرته الأولى "أتمرّن"، يوظّف فيها ما تعلّمه، ثمّ فقرة قصيرة " أبحث" سبّبت نوعاً ما مشكلاً للمتعلّمين والأولياء، وصاروا يشتكون من صعوبة الرياضيات، وفي الحقيقة هذه الفقرة لا تدخل ضمن التطبيق المباشر لما تعلّمه المتعلّمون، وإنّما "تتطلّب نشاطاً ذهنياً فيه من التّجريب والتّخمين وتكرار المحاولة وبناء منهجية حل، ما يضعه على خطى ممارسة كفاءاته الفكرية والمنهجية وتطويرها رويداً رويداً" [28]، والمعلّم الماهر من يقنع تلاميذه بأهمّية هذه الفقرة، ويستطيع التّواصل مع الأسرة لإزالة اللّبس حولها.

فالمطابقة جليّة بين المنهاج والكتاب المدرسي فيما يخص: الإدماج، الدعوة إلى التّعلّم بدل التعليم، التّقويم، إعطاء الوضعيات أبعاداً أخرى غير المعرفية، لها علاقة بمحيط المتعلّم المحلي أو الإقليمي، مثال ذلك الوضعية الانطلاقية الأولى في كتاب السنة الخامسة [29].

ومع ذلك النقائص عديدة في هذه الكتب نذكر منها:

– محتويات تفوق سنّ المتعلّم كاستعمال الساعة في السنة الأولى ابتدائي، قراءة الساعة، درس الحاسبة واستعمال الرموز .c- on- ce [30]

– طول البرنامج، وعدم ترك حجم زمني كاف للاستدراك في الحالات الاستثنائية، مما يؤدّي إلى حشو الدروس دون فهمها، ودون التطبيق عليها.

– عدم التطابق بين أهداف الدّرس والتطبيقات على دفتر الأنشطة (درس قياس الكتل) [31].

– تقديم إجابات خاطئة في دليل المعلّم لتطبيقات في دفتر الأنشطة غير موجودة أصلاً [32].

– عدم التطابق بين وضعيات أتمرّن في دفتر الأنشطة وأجوبتها في دليل المعلّم[33].

ج- التربية العلمية: مادّة مدمجة مع الرياضيات في كتاب واحد في الطّور الأوّل، لكنّها استقلّت بكتاب خاص بها في الطّورين الثّاني والثّالث، تهتم بالجانب العلمي والتكنولوجي القريب من مستوى متعلّمي هذه المرحلة، وممّا نصّت عليه المناهج "إدراج التحكّم في تكنولوجيا الإعلام والاتّصال ضمن كفاءاتهم الّتي تمكّنهم من الاقتصاد المعرفي" [34]، لكن لا أثر للمعلوماتية في الكتاب المدرسي، كما نصّت أيضاً على تمكّن المتعلّم من "معرفة مسار الصّنع التكنولوجي البسيط المتداول في حياته اليومية"[35]، فكلمتا "مسار" و"بسيط" تشيران إلى التدرّج في تقديم المعلومات، وإلى مناسبتها لمستوياتهم العقلية، في حين هناك دعوة للتأمّل في العملية الجنسية الّتي تسبق عملية التّكاثر في كتاب السنة الثانية ابتدائي [36]، فكيف لمتعلّم بحاجة إلى التمكّن في القراءة والكتابة، نلفت نظره إلى مثل هكذا أمور، وكان الأجدر التطرّق إلى التكاثر بالبيض وبالولادة مثلما كان معمولاً به سابقاً في السنة السادسة أساسي.

– في درس قياس الكتل، استعمال ميزان روبرفال، في حين الأقرب إلى واقع المتعلّم هو الميزان الإلكتروني، فالمنطق يفرض علينا مسايرة الواقع، ولا بأس من الإشارة إلى بقية الموازين.[37]

– استعمال وحدات قياس السّعات مع الأعداد العشرية، دون أن يتطرّق لها المتعلّم في مادة الرياضيات (21ml – 0.03ml).[38]

د– التربية المدنية والتربية الإسلامية: ما يُلاحظ على تنظيم وتوزيع الدروس في المادتين، أنّه تمّ في ميادين عوض مقاطع انطلاقاً من وضعية مشكلة انطلاقية إلى وضعيات تعلّميّة، الإدماج، التّقويم، ثمّ المعالجة.

في الطّور الأوّل أدمجت دروس المادّتين في كتاب اللّغة العربية، ليتمّ الانفصال في الطّورين الثّاني والثّالث.

محتوياتهما المعرفية تدعو إلى تثبيت القيم الدينية والوطنية والاجتماعية، ليست بالطويلة ولا بالمعقّدة مدعّمة بصور توضيحية، حقيقية أو مرسومة، إضافة إلى سندات أخرى تتناسب مع المنهاج الجديد.

هـ– التاريخ والجغرافيا: كتاب موحد في السّنتين الثّالثة والرّابعة، ثمّ كتاب لكلّ مادّة في السنة الخامسة، والانتقادات وُجهت لكتاب التاريخ، الّذي يسعى إلى تكوين شخص مُشبّع بمبادئ الهوية الوطنية، ومن المفترض أنّ "المدخل البيداغوجي، مدخل يعطي الأولوية للمحيط القريب الجواري الاستكشافي، إمّا بالموروث المحلي أو بأماكن مشحونة بالذّاكرة مثل عناصر المحيط القريب من التّلميذ(احتفالات، تواريخ، أعياد) الّتي تُيسّرُ تدوير محور الزمن وترسّخها" [39]، لكن ما جاء في كتاب التلميذ للسنة الثّالثة طويل نسبياً مقارنة بالحجم السّاعي المخصص له، ويفوق سنّ التلميذ أحياناً (رصيد عن العصور الحجرية، أسماء مثل تاكفاريناس، بطليموس، أبوليوس، إمدغاسن ...)، إضافة إلى قصّة "الحمار الذهبي للأديب الجزائري أبوليوس الّذي تحوّل إلى حيوان بفعل عقاب الآلهة، وهي أولى الرّوايات الأمازيغية العالمية في تاريخ الإنسانية" [40]، ماذا نريد أن نغرس في نفوس التّلاميذ ؟ هل نُحبّب لهم التاريخ بهذه الطريقة ؟ وفي السنة الرابعة يُفاجأ المتعلّم بالمراحل التاريخية، وأحداث كبيرة ليعود إلى فتح القسطنطينية 1453م، وقيام الثورة الفرنسية 1789م، سقوط روما 1476 م، وشخصيات تاريخية كثيرة[41].هنا الكتاب المدرسي خالف المنهاج فيما ذكرناه سابقاً، فهذه الأحداث التاريخية بعيدة جدّاً عن محيطه القريب، كان يمكن تأخيرها للمراحل القادمة أين ينضج المتعلّم، ويدرسها مع أساتذة التخصّص، ونكتفي بتقديم أحداث يمكن سماعها في الأسرة أو يعيش احتفالاتها، أمّا بالنسبة للسّنة الخامسة فمنذ تطبيق إصلاحات الجيل الثّاني 2017/2016م، وصولاً إلى موسم 2023/2022م، لم يصدر بعد كتاب للتاريخ والجغرافيا خاصّ بهما، ما اضطرّ الأساتذة إلى استعمال كتب الجيل الأوّل، وبالتّالي لا يوجد توافق بين الميادين المذكورة في المنهاج والكتاب المدرسي حيث:

الميدان الأوّل: أدوات ومفاهيم المادة، محتوياته (كرونولوجيا العصور التاريخية).

الميدان الثّاني: التاريخ العام، محتوياته تخصّ الاستعمار الحديث في المغرب وفي إفريقيا.

الميدان الثّالث: التاريخ الوطني، محتوياته خاصّة بالاستعمار الفرنسي في الجزائر.

7. الخاتمة:

لا أحد ينكر أهمّية الكتاب المدرسي خاصّة بالنسبة للمتعلّم الّذي وُجّه له، فهو يرافقه في تعلّماته داخل المدرسة وخارجها، وكذا بالنسبة للمعلّم حيث يُسهّل عليه عملية التّخطيط والإعداد للدّروس، فقيمته تتحدّد أكثر في كيفية استخدامه، فمن خلال الاطلاع على كتب الجيل الثّاني للمرحلة الابتدائية وجدنا أنّ الكتاب الموحّد، كان يكون أفضل لو تمّ العمل به في الطّورين الثّاني والثّالث، تخفيفاً لثقل المحفظة وتأكيداً للإدماج بين المواد، أمّا محتوياته تبدو مرهقة ولا تناسب أعمار المتعلّمين خاصّة في مادّة التربية العلمية للسّنة الثانية، ومادّة التاريخ للسّنتين الثالثة والرابعة، فهي بعيدة عن واقع المتعلّم القريب وتخالف ما نصّ عليه المنهاج، أمّا مادّة الرياضيات، فيها كثافة في المحتويات، وعدم التسلسل ممّا يؤدّي إلى صعوبة فهم الدرس اللاحق لأنّه لم يربط بسابقه، وكتب اللّغة العربية نُظّمت أنشطتها توافقاً مع طبيعة المهارات اللّغوية، أمّا نصوص القراءة ينقصها عنصر التشويق الّذي يخلق الدافعية للتعلّم، ممّا انعكس سلباً على تحصيل الرّصيد اللّغوي، فظهر جليّاً في إنتاجات المتعلّمين الشفوية والكتابية.

وعليه، من التوصيات الّتي نذكرها:

- مراعاة التّنسيق بين ما يدعو إليه المنهاج وما يتضمّنه الكتاب المدرسي.
- المراجعة الدّورية للكتاب المدرسي لسدّ النقائص الّتي تظهر في الميدان عند توظيفه.
- ترقية محتوى كتاب اللّغة العربية لتنمية الرّصيد اللّغوي للمتعلّم، مع زيادة الحجم السّاعي لاستعماله.
- تخفيف برنامج بقية المواد، مع إمكانية إلغاء كتبها تخفيفاً لثقل المحفظة وتعويضها بسندات تثير دافعية المتعلّم تُستعل كوسائط في المدرسة.
- ربط برنامج التّاريخ بواقع المتعلّم وبسنّه، دون الغوص في التّاريخ القديم.

8. الهوامش:

[1]- ينظر: صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة، الجزائر، ط7، 201م، ص 85.

[2]- محمد الصالح حثروبي، نموذج التدريس الهادف أسسه و تطبيقاته ، دار الهدى عين مليلة ،الجزائر، د ط، 1999،ص 80.

[3]- وزارة التربية الوطنية ،دليل استخدام كتاب اللغة العربية السنة الرابعة الجيل الثاني،الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية. الجزائر،2018/2017 م، ص4 .

[4]- رشدي أحمد طعيمة ،تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية(مفهومه ، أسسه ، استخداماته)،*دار الفكر العربي ،القاهرة . مصر 2004م . ص47.*

[5] - عبد الله قلي +فضيلة حناش، التربية العامة ، المعهد الوطني لمستخدمي التربية و تحسين مستواهم ،الحراش ،الجزائر،2009م ، ص127 .

[6]- ينظر : يوسف مقران ،في ضوابط انتقاء المحتوى اللغوي ومدى مراعاتها في النص المدرسي لكتاب الجيل الثاني، مجلة التعليمية، الجزائر، المجلد6 العدد 2 ، جوان 2019م ، ص31.

[7]- ينظر : علي آيت أوشان، اللسانيات و البيداغوجيا. نموذج النحو الوظيفي، مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء، المغرب، ط1 ، 1998م ، ص110 .

[8]- عطية بن حامد بن ذياب المالكي، تدريس التربية الوطنية، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، السعودية ، 1430/1429هـ، ص40.

[9]- ينظر: المرجع نفسه، ص46.

[10]- ينظر: المرجع نفسه، ص 46/45.

[11]- سهيل رزق ذياب ،تطوير أداة لقياس جودة الكتاب المدرسي و توظيفها في قياس جودة كتب المنهاج الفلسطيني ،غزة- فلسطين، جامعة القدس المفتوحة، 2006م ، ص5 .دراسة مقدمة للمؤتمر العلمي الأول لكلية التربية جامعة الأقصى (التجربة الفلسطينية في إعداد المناهج).

[12]- ينظر: محمد زمراني، الكتاب المدرسي من الإخراج الورقي إلى الإخراج الرقمي ،شبكة ألوكة – https://www.alukah.net ص7/6.

[13]- محمد الأوراغي، اللسانيات النسبية و تعليم العلوم الإنسانية، الدار العربية للعلوم ناشرون . الرباط – المغرب، ط1 ، 2010م ، ص44 .

[14]- وزارة التربية الوطنية ،المرجعية العامة للمناهج، اللجنة الوطنية للمناهج، الجزائر. مارس 2009م ، ص25 .

[15]- ينظر: وزارة التربية الوطنية، دليل كتاب السنة الأولى ابتدائي لغة عربية الجيل الثاني، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية ، الجزائر، 2016م ، ص9 .

[16]- ينظر: المرجع نفسه ،ص10 .

[17]- محمد زمراني، الكتاب المدرسي من الإخراج الورقي إلى الإخراج الرقمي، شبكة ألوكة -https:// www.alukht.net ، ص6.

[18]- حبيب بوزوادة – يوسف ولد النبية ،تعليمية اللغة العربية في ضوء اللسانيات التطبيقية ، جامعة معسكر ، مكتبة الرشاد للطباعة و النشر ، الجزائر،ط1 ، 2020م ، ص83

[19]- المرجع نفسه، ص87.

[20]- ينظر: المرجع نفسه، ص 88.

[21] – وزارة التربية الوطنية، مناهج مرحلة التعليم الابتدائي، اللجنة الوطنية للمناهج، الديوان، الوطني للمطبوعات المدرسية ، الجزائر 2016م ، ص8

[22]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة ، دار ابن الهيثم. القاهرة – مصر ، ط1 ، 2005م ، ص484 .

[23]- ينظر : وزارة التربية الوطنية ، دليل كتاب السنة الأولى لغة عربية ، ص5 .

[24]- المرجع نفسه، ص 9+10.

[25]- وزارة التربية الوطنية، مناهج مرحلة التعليم الابتدائي ، ص43 .

[26] – وزارة التربية الوطنية، كتاب السنة الأولى ابتدائي رياضيات و تربية علمية، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر 2016م، المقدمة.

[27]- وزارة التربية الوطنية، مناهج مرحلة التعليم الابتدائي، ص9 .

[28]– وزارة التربية الوطنية، دليل استخدام كتاب الرياضيات السنة الرابعة، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، 2019/2018 ، ص17 .

[29] – ينظر: وزارة التربية الوطنية، كتاب الرياضيات السنة الخامسة، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر،2020/2019، ص10+11

[30] – ينظر: وزارة التربية الوطنية، كتابي في الرياضيات و التربية العلمية و التكنولوجية السنة الأولى ابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر 2016م، ص80-103-122.

[31]– ينظر: وزارة التربية الوطنية، كتاب الرياضيات السنة الرابعة، ص32+ دفتر الأنشطة،ص23، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية. الجزائر2018/2017م .

[32]– ينظر: وزارة التربية الوطنية، دليل استخدام كتاب المعلم رياضيات السنة الرابعة، ص66+ دفتر الأنشطة. ص، 34+37 .

[33]– ينظر: وزارة التربية الوطنية، دليل استخدام كتاب المعلم رياضيات السنة الرابعة ، ص68+ دفتر الأنشطة. ص، 38.

[34] – وزارة التربية الوطنية، مناهج مرحلة التعليم الابتدائي ، اللجنة الوطنية للمناهج ، ص 27 .

[35] –المرجع نفسه. ص 16 .

[36]– ينظر: وزارة التربية الوطنية، كتابي في الرياضيات و التربية العلمية السنة الثانية، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية . الجزائر 2018/2017م .ص 64+67.

[37] – ينظر المرجع نفسه . ص 101+108.

[38] –ينظر: وزارة التربية الوطنية، كتاب التربية العلمية و التكنولوجية للسنة الرابعة ابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر. 2019/2018م ،ص14.

[39]– وزارة التربية الوطنية، مناهج مرحلة التعليم الابتدائي، اللجنة الوطنية للمناهج، ص 164.

[40] –وزارة التربية الوطنية، كتاب التاريخ و الجغرافيا الثالثة ابتدائي ، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية ،الجزائر 2018/2017م ،ص 38.

[41]– ينظر: وزارة التربية الوطنية، كتاب التاريخ و الجغرافيا السنة الرابعة ابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر،2022/2021م، ص 22،21،20-39،38.

9. قائمة المراجع:

الكتب العربية:

1-حبيب بوزوادة و يوسف ولد النبية، تعليمية اللغة العربية في ضوء اللسانيات التطبيقية ، مكتبة الرشاد للطباعة و النشر ، الجزائر ، ط1.2020م.

2- رشدي أحمد طعيمة، تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية (مفهومه ، أسسه ، استخداماته)، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر 2004م .

3-صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة، الجزائر، ط7، 2012م .

4-عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار ابن الهيثم، مصر، ط1، 2005م .

5- عبد الله قلي + فضيلة حناش، التربية العامّة، المعهد الوطني لمستخدمي التربية و تحسين مستواهم ، الحراش، الجزائر، 2009م.

6- علي آيت أوشان، اللسانيات و البيداغوجيا (نوذج النحو الوظيفي)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب ، ط1 ، 1998م.

7-محمد الأوراغي، اللسانيات النسبية و تعليم العلوم الإنسانية، الدار العربية للعلوم ناشرون ، الرباط ، المغرب ط1، 2010م.

8- محمد الصالح حثروبي، نموذج التدريس الهادف .أسسه و تطبيقاته ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ، د ط ، 1999م.

الندوات العلمية:

1-سهيل رزق ذياب، تطوير أداة لقياس جودة الكتاب المدرسي وتوظيفها في قياس جودة كتب المنهاج الفلسطيني، جامعة القدس المفتوحة، غز، فلسطين 2006م. دراسة مقدمة في المؤتمر العلمي الأول لكلية التربية ، جامعة القدس المفتوحة (التجربة الفلسطينية في إعداد المناهج).

المجلاّت :

1-يوسف مقران، في ضوابط انتقاء المحتوى اللّغوي و مدى مراعاتها في النص المدرسي لكتاب الجيل الثاني، مجلة التعليمية،المجلد9، العدد2 ، جوان 2019م .

الرسائل الجامعية :

1-عطية بن حامد بن ذياب المالكي، تدريس التربية الوطنية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرّمة، السعودية، 1430/1429هـ.

السندات التربوية:

1- وزارة التربية الوطنية ،المرجعية العامة للمناهج ، الجزائر ، مارس 2009م .

2- وزارة التربية الوطنية، مناهج مرحلة التعليم الابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر ، 2016م.

3-وزارة التربية الوطنية، دليل استخدام كتاب اللغة العربية للسنة الرابعة من التعليم الابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية ، 2018/2017م .

4-وزارة التربية الوطنية، دليل استخدام كتاب الرياضيات للسنة الرابعة من التعليم الابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية ، 2019/2018م.

5- وزارة التربية الوطنية، دليل كتاب السنة الأولى لغة عربية الجيل الثاني، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، 2019/2018م.

6- وزارة التربية الوطنية، دفتر الأنشطة رياضيات السنة الرابعة، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية ، 2018/2017م.

7- وزارة التربية الوطنية، كتابي في الرياضيات و التربية العلمية و التكنولوجية السنة الأولى ابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية،2017/2016م.

8- وزارة التربية الوطنية، كتابي في الرياضيات و التربية العلمية و التكنولوجية السنة الثانية ابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية ،2018/2017م.

9- وزارة التربية الوطنية، كتاب الرياضيات السنة الرابعة ابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية ،2018/2017م.

10- وزارة التربية الوطنية، كتاب الرياضيات السنة الخامسة ابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية،2020/2019م.

11- وزارة التربية الوطنية ، كتاب التاريخ والجغرافيا السنة الثالثة ابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية ،2018/2017م.

12- وزارة التربية الوطنية ، كتاب التاريخ والجغرافيا السنة الرابعة ابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية 2022/2021م.

13- وزارة التربية الوطنية، كتاب التربية العلمية والتكنولوجية للسنة الرابعة ابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية،2019/2018م.

مواقع الأنترنيت :

1-محمد زمراني، الكتاب المدرسي من الإخراج الورقي إلى الإخراج الرقمي، شبكة ألوكة، https://www.alukah.net(18-06-2022)